الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الاتجاهات الأدبية الحديثة :

طلبت محطة الشرق الأدنى للاذاعة العربية إلى محرر هذا الباب ، أن يتحدث إلى مستمعيها عن « الاتجاهات الأدبية الحديثة في مصر » فأعد لها هذا الحديث الذي سجل في « استديوهات السيد بدير بالقاهرة » وأذيع مساء يوم الأربعاء الماضي . ويظهر أن المحطة ستذيع أحاديث أخر عن الاتجاهات الأدبية الحديثة في الأقطار العربية الأخرى . فأنشر حديث الاتجاهات المصرية فيما يلي ، راجيا أن يتاح لي تتبع ما عسى أن يذاع عن الاتجاهات الأخرى ، فأحدث به قراء الرسالة لنقف على وجهات النظر في عالم الأدب العربي الحديث بمختلف بلاده

وهذا نص حديثنا :

كان أساتذتنا شيوخ الأدب في مصر ، أصحاب دعوة جديدة في التوجيه الأدبي ، ظهروا بها في الثورة على من عاصروهم من قدامى الأدباء ، وقاموا بدورهم الخالد في نهضة الأدب العربي الحديث ، ارتادوا آفاق الآداب الأوربية ، وهم ذوو ثقافة عربية ومواهب أصيلة ، ثم كتبوا وألفوا ، حتى جمعوا لنا هذه الثروة الأدبية التي تكون أدبنا الحديث

وموضوعنا — وهو « الاتجاهات الأدبية الحديثة في مصر » — لا أريد له أن يعني أدب أولئك الأعلام وذلك لأمرين ، الأول أن ذلك الأدب قد شبع من درسه والحديث عنه ، الأمر الثاني أنه قد تقادم عهده بعض الشيء ، وجد بعده أو معه أدب أولى منه بلفظ « الحديث » من الناحية الزمنية على الأقل

وقبل أن نقصد إلى هذا الأدب الحديث ، ونأخذ في تبين اتجاهاته ، أحب أن أذكر أمرا أراده محور هذا الموضوع ذلك أن المسألة في اتجاه الأدب ليست مسألة الأدباء وحدهم ، وإنما هي كذلك مسألة القراء ، بل إننا إذا نظرنا إلى أن الكتاب كانوا قراء قبل أن يكونوا كتابا ، ولعلهم أكثر الناس قراءة — إذا نظرنا إلى هذا وجدنا الأمر كله في توجيه الأدب راجعا إلى القراء ، فالجيل من الناس يشعر بحاجاته ، ويطلب من التفكير والتعبير ما يلائم روحه وعصره ، فيخرج من صميمه كتاب يعبرون عنه ويقودون أفكاره

كان الأدباء قديما يلوذون بالملوك والأمراء وأشباههم من الكبراء ، لأنهم هم الذين يقرؤونهم أو يسمعونهم ، ويجزونهم على ما يقولون . ثم جاءت العصور الحديثة بالثورة على الطبقات الأرستقراطية ، فتقدمت طبقات متوسطة إلى الصفوف الأولى في المجتمع وفي الحكم والسياسة . وقد تهيأت الفرصة للطبقة المتوسطة في مصر عن طريق التعليم في صدر هذا القرن العشرين ، فارتفع منها أفراد إلى الطبقة العالية ، وكان القراء يتكونون من هؤلاء وممن ظلوا متوسطين في حال حسنة ، وكان حظ النوع الأول من الشعور بأنفسهم موفورا ، وكان الآخرون المتوسطون يتطلعون إلى الأولين ويحاكونهم ، فلم يكن يهم أولئك ولا هؤلاء ما تعانيه سائر طبقات الشعب من فقر وجهل ومرض . في هذه البيئة وفي ذلك الطور من الزمان نشأ أدباء الجيل الذي كان حديثا في ذلك الوقت ، فكانوا لسان الطبقة المتوسطة ومن ارتفع منها

وأرى من الضروري قبل الاسترسال في الحديث أن أنبه على أننا في هذا الموضوع بصدد اتجاهات الأدب ، لا وصفه والحكم على قيمته ، وأذكر كذلك أننا مضطرون إلى إجمال الكلام في هذا الحديث القصير ، فليس ما نقوله ينطبق على كل الأدب وجميع الأدباء ، وإنما هو على وجه العموم والإجمال

كان أولئك الأدباء يحلقون في أجواء متعددة ، وكان أكثر ما يطرقونه الدراسات الأدبية : دراسة الأدب العربي القديم ، ودراسة الآداب الأوربية القديمة والحديثة ، ومنهم من اتخذ التاريخ الإسلامي مجالا للتأليف في عرضه وتحقيقه ، ومنهم من اتخذ منه مادة لخيال أدبي وعمل فني . وهم كالطبقة التي صحبوا تقدمها في شدة الشعور بأنفسهم ، فكانوا أحيانا يسرحون مع

الخيال ويلزمون الأبراج العاجية ، يستوحون فيها الخواطر والأفكار البعيدة عن معترك الحياة الدنيا ، فإذا قصدوا إلى تصوير المجتمع لسوء ما تركا وعرضوه عرضا ملهيا يقصد منه الإقناع أكثر مما تلمس فيه الحرارة

ثم تقدم الزمن وانتشر التعليم ، وألحت الآلام على الناس في أعقاب الحرب الأخيرة ، فأصبحوا ينظرون شزرا إلى تلك الآداب السابحة في أجواز الفضاء ، ويعدونها ضربا من العبث ، فهم لا يجدون فيها أنفسهم ، ولا يرون بها صدى لما يشغلهم ، فصاروا عنها من المعرضين

وقصد بعض الكتاب إلى الأدب الخفيف اللذيذ الخالي مما يفيد ، أو الأدب الماجن الذي يشبه الصورة العارية ، وكثيرا ما يرافقها ، وذلك ليجتذبوا القراء ، وانجذب القراء إليهم فعلا ، فتخدروا حينا ، ثم أفاقوا أو أخذوا يفيقون

سادت الكتابة الخفيفة الفارغة والماجنة بعض السنوات في أعقاب الحرب ، ولكن جاذبيتها أخذت تتضاءل بعد ذلك حتى كادت تمحى وأصبحنا نرى في السنوات الأخيرة كتابات تتجه إلى الشعب وتتناول مسائله ومشكلاته ، تراها في الصحف وفي الكتب ، وترى الناس يقبلون على قراءتها ويستزيدون منها ، والذي يسترعي النظر أنك إذا ذكرت كلمة الأدب أمام بعض هؤلاء الكتاب أو أمام الذين يقرؤون لهم ، بدا عليهم عدم الاكتراث ، كأنهم يقولون : دعنا في حالنا ! مالنا وللأدب .. وهم معذورون في ذلك ، لأن تحليق المحلقين من الأدباء في عالم الكواكب والنجوم قد جنى على المفهوم العام للأدب ، وصار كثير من الناس لا يفهمونه إلا على أنه مناقشة في الكلاسيكية والرمزية أو معركة على نسبة من الشعر إلى المتنبي أو أبي تمام !

وعلى ذلك أستطيع أن أقول إن الأدب الحديث في مصر يتجه الآن إلى الواقعية التي تهدف إلى سمع الشعب على أيدي كتاب من الشباب ومن الشيوخ أيضا ، يوجههم القراء الذين يزداد عددهم يوما بعد يوم ، وهذا الاتجاه لا يزال في أوائله ، وهو بطبيعة الحال سيزداد كلما انتشر التعليم وزاد عدد القراء من سواد الناس

وأرى أن هذا الاتجاه لم يرد إلينا من الخارج ، وإن كان مصاحبا لأشباهه في البلاد الأخرى ، إنما هو وعي جديد مستمد من داخل النفوس . وقد حاول بعض الأدباء أن يستوردوا مذاهب أوربية كالوجودية والرمزية والسريالية ، ولكن أحدا لم يلق باله إليهم

ذلك هو الاتجاه ، وهو كما قلت شيء آخر غير قيمة الإنتاج في ذاته ، ولا شك أن فيما يكتب كثيرا من الجيد

كشكول الأسبوع

▫ بمناسبة إلغاء المعاهدة وتعديل الدستور نص على لقب ملك مصر والسودان — أقترح أن يطلق على شطري الوادي لفظ واحد عن طريق النحت ، وليكن « مصرودان » ولتكن الجنسية واحدة وهي المصرودانية ، والواحد مصرودانى

▫ يمكن الآن أن يقال إن العقبات « الدبلوماسية » التي كانت تحول دون إنشاء معهد فاروق الأول للدراسات العربية في طنجة ، قد ذللت ، فقد انتهت المباحثات التي جرت بشأنه بين معالي الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف وبين الجهات الفرنسية ، بموافقة فرنسا على إنشاء هذا المعهد . ويهتم معاليه الآن بتنظيم افتتاحه

▫ عرض أحد المستشرقين على مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، أن يقوم بإتمام ما بدأه الدكتور فيشر في معجمه المعروف والسعي للحصول على ما عمله فيشر من جزازات بعد سفره من القاهرة آخر مرة منذ عشر سنوات

▫ صدرت الطبعة الثانية من كتاب « الإسلام — لا الشيوعية ولا الرأسمالية » للأستاذ البهي الخولي ، وهو من الكتب القيمة التي ألفت في السنوات الأخيرة للدعوة إلى مبادئ الإسلام وتطبيق نظمه في الحياة العملية . ويمتاز هذا الكتاب بالإفاضة في موضوعات العمل والعمال وتشريعات الإسلام فيها ، موضحة بكثير من الأمثلة المأخوذة من الحياة الإسلامية الأولى ، ومؤيدة بأسانيد من الكتاب والسنة . ويلمح القارئ براعة المؤلف في توجيه ذلك إلى وجوب الانتفاع به في حياتنا الحاضرة

▫ جاء من بيروت أن الحكومة اللبنانية تنظر الآن في إطلاق اسم أمير الشعراء أحمد شوقي بك على أحد الشوارع ببيروت تخليدا لذكراه

الرائع ، وفيه أيضا كثيرا مما تدفع إليه المجلة وحب الإكثار وابتغاء الكسب ، وفيه مع هذا وذاك كثير من الهذر والإسفاف

وإنى متفائل بمستقبل الأدب فى مصر ، لثقتى بهذا الشعب الذى يتعلم فيكثر فيه القراء الذين سيوجهون الأدب ويحملون الأدباء على الإجادة بالإقبال عليهم ، وبالتنبيه إلى قيمة ما يكتبون

ونسمع أحيانا من يعيب كتاب هذا الجيل لعدم عنايتهم باللغة والأسلوب ، ويرد عليهم آخرون بأن المهم هو المعنى ، ومعركة اللفظ والمعنى معركة قديمة ، تثار من حين لآخر ، ولاشك أن الذوق السليم يتطلب الجمال فى كل شئ ، فلماذا لانتطلبه فى أسلوب الأدب ليكمل به جمال المعنى ؟ وإذا اعتبرنا المعنى بمثابة الروح واللفظ بمثابة الجسد أفليس من الكمال أن يكون الروح الجميل ؟ غير أنى لا أوافق القائلين بأن كتاب الجيل يهملون هذا الجانب فى كتابتهم ، فالجمال مسألة تتعلق بذوق العصر ، فالفتاة العصرية — مثلا — تتبع فى حليتها وتنسيق هندامها وثيابها غير ما كانت تصنعه الفتاة فى العصور الماضية ، وكذلك الأسلوب ، فكما تركت الفتاة الأقراط الذهبية ذات الوزن الثقيل ، وكما نبذت العقود ذات الأقراص المستديرة الكبيرة ، وكما تحولت عن الألوان الزاهية الصارخة ، كذلك فعل أدباء هذا الجيل ، إذ جانبوا العبارات الطنانة والتراكيب الرنانة ، ووجهوا همهم إلى الكلمة العذبة والأسلوب الأسلس ، أى أنهم يتجهون إلى البساطة واستخدام الكلام للوصول إلى الهدف ، وليس معنى هذا أنهم أهملوا ناحية الجمال ، وإنما هم يسيرون فى اتجاه الذوق العصرى العام الذى يؤثر جانب البساطة فى كل شئ . ومما يلاحظ فى هذا المقام أن أدباء الشباب جميعا متمسكون باللغة الفصيحة ، لا ترى فيهم من يدعو إلى العامية ، كما كان فى الجيل الماضى من يدعو إليها ، وكل ما فى الأمر أنهم يريدون أن يطوعوها ويقربوا بينها وبين اللغة الدارجة برفع الدارجة إلى الفصيحة

سيداتى وسادتى — لعلكم تلاحظون أننى إلى الآن قصرت الحديث على الكتابة ، ولم أتعرض للشعر . إننى فعلت ذلك حقا لأن اتجاه الأدب إلى الحياة الواقعة فى مصر إنما هو فى ناحية الكتابة فقط ، أما الشعر — على وجه الإجمال — فلم يتفضل بعد بأن يأكل من طعام الناس ويعشى فى أسواقهم

ونرى أن الشعر المصرى يسير الآن فى اتجاهين : الأول إتباعى كلاسيكى ، لا يزال أصحابه يقولون كما كان يقول القدماء ، وينظرون إلى الأشياء كما كانوا ينظرون ، وقد وصف أحد الظرفاء هذا الفريق من الشعراء بأنهم « شعراء الفنادق » ، يستقبلون القادمين ، ويودعون الراحلين ، وتظهر على وجوههم دلائل مختلفة ليس فيها ما يدل على حقيقة ما يعتلج فى نفوسهم . والاتجاه الثانى اتجاه خيالى فردى ، وهو اتجاه المدرسة الحديثة ، لا تزال مشاعر أصحابه معلقة بالحبيب الهاجر والبحيرة الساجية والخطرات المغرقة فى التأمل السابح بعيدا عن حياة الناس

وأعتقد أن تخلف الشعر عن النزول مع الكتابة إلى معترك الحياة ، هو الذى جعل الناس ينصرفون عنه ، أو هو على الأقل أحد الأسباب فى هذا الانصراف . والكلام هنا — كما سبق أن قلت — إجمالى ، فهناك من غير شك فلتات من الشعر تتصل بالحياة ، كما أن من الكتابة ما لا يزال بعيدا عن الحياة

عباس خضر

ظهر المجلد الثالث

من كتاب

وحى الرسالة

فصول فى الأدب والسياسة والنقد والاجتماع والقصص

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعا أنيقا على ورق ثقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشا عدا أجرة البريد